المقدمة

الحمد لله ، منزل القرآن ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، القائل : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ، وعلى آله وصحبه البررة الذين تعلموا كتاب ربهم وعملوا به ...
وبعد ،

فإن شرف (علوم القرآن) لا يخفى على طالب العلم ، إذ شَرَفُ هذا العلم بمعلومه ، وهو القرآن ، ولا شك أن مباحث هذا العلم تتفاضل تفاضلا بينا ، وأن من أعلاها (علم التفسير) الذي هو بيان عن معنى كلام الله سبحانه وتعالى .

والناظر في هذا العلم يحتاج إلى مقدمات يدرسها لتتبين له معالمه ، وتتضح له سبله ، فلا يتيه إذا قرأ كتب هذا العلم ، ولا يختلط عليه الغث بالسمين . وهذه المقدمات هي ما اصطلح عليه باسم (أصول التفسير) .[1]

وهذا المصطلح قد اتخذ عنوانا لمادة دراسية في بعض المعاهد والكليات ، وقد اجتهد القائمون على مفردات هذا المنهج باختيار الموضوعات المناسبة له .

بيد أني لا زلت أرى أن هذه المفردات من حيث الغالب هي في علوم القرآن أكثر منها في أصول التفسير .

وبما أني قمت بتدريس هذه المادة في (كلية المعلمين بالرياض) ، فإني قد اخترت بعض المباحث التي رأيت أنها ألصق بهذا العلم ، اجتهدت في تحرير مسائلها على ما سمح به الزمن .

ولا زال في ذهني بعض المباحث ، لكنها تتطلب استقراء كتب التفسير ، فأرجو من الله أن ييسر لي ذلك ، وأن يعينني عليه ، إنه خير مسؤول ، وأعظم معطي .

وقد اجتهدت أن أعزز مسائل هذا البحث بالأمثلة الموضحة لها ، وإن كان بعضها قد

---

(١) سيأتي إيضاح لهذا المصطلح ص (١١) .

يخلو ، إلا أنني سأبحث عنها حتى أضعها في مكانها فيما بعد – إن شاء الله – .

ثم إن المراد بهذه الأمثلة مطلق المثال ، فلا يلزمني صحته ، ومتابعة تحريره ، كما قيل : ليس من عادات الفحل الاعتراض على المثل ، لأن المراد بيان مسائل هذا العلم وإيضاحها .

وقد يمر بك بعض التقسيمات التي تدخل ضمن المجال الفني فحسب ، والمراد بها التنويع والتفنن في إيراد المسائل .

وبعد .. فإن ما ستراه مطروحا في هذا البحث إنما هو اجتهاد ، وما عليك أيها القارئ إلا أن تراسلني بملحوظاتك ، وتعينني بآرائك ، سواء كان ذلك في تحديد موضوعات هذا العلم ، أم كان في المسائل المطروحة ، ولك مني جزيل الشكر .

وأخيرا لا يفوتني أن أشكر – بعد الله – والديَّ ، حيث أعاناني على تحصيل العلم ، ثم على من له يدٌ عليَّ في هذا البحث ، كالشيخ محمد بن صالح الفوزان – رئيس قسم الدراسات القرآنية بالكلية – الذي تقبل مشكورا قراءتي عليه هذا البحث ، وأبدى لي ملحوظاته ، والأخ محمد بن عبد العزيز الخضيري – الأستاذ في القسم نفسه – الذي قرأ معي هذا البحث ، وأعانني بآرائه وتصويباته .

وبعض الإخوة الذين امتنعوا من التصريح بذكرهم ، فقد كان لهم الأثر – من خلال مدارستي معهم هذا العلم – في بناء لبناته ، وصياغة أفكاره ، فجزاهم الله خيرا .

ولا أنسى أم عبد الملك التي أعانتني بما استطاعت ، فجزاها ربي خيرا ، وجعلها خير معين لي دنيًا وأُخرى .

أبو عبد الملك
مساعد بن سليمان الطيار
كلية المعلمين – الرياض
ص . ب ٤٣٠٥٨
الرياض ١١٥٦١

تمهيد

إن علوم القرآن علم مترامي الأطراف ، بموضوعاته المتناثرة ؛ كالمكي والمدني ، والناسخ والمنسوخ ، وعدد الآي ، والقراءات ... إلخ .

ولا زال احتمال اكتشاف موضوعات جديدة في هذا العلم قائما ، ومن ذلك ظهور (علم التفسير الموضوعي) ، و (علم مناهج المفسرين) ، وغيرها .

ومن هذه العلوم التي ظهرت – ولكن لم تلق عناية متكاملة – (علم أصول التفسير) وهو في الحقيقة جزء من علوم القرآن ، وإن كان بعضهم يجعله مرادفا لمصطلح علوم القرآن.

ولما كان (أصول التفسير) جزءاً من (علوم القرآن) ، فإني سأطرح بين يديك بعض آراء في مادة علوم القرآن ، أجعلها مدار نقاش ومدارسة ، رجاء أن توصل هذه المدارسة هذا العلم إلى مستوى أعلى مما هو فيه ، وأن يكون لطلبة العلم اهتمام به ، كما ظهر وبرز اهتمامهم بعلم الحديث وعلم الفقه .

إنه، من خلال مطالعتك لمنهج (علوم القرآن) الذي يدرس في المعاهد والجامعات ، ستلاحظ أن غالب هذه الكتب نقول وتلخيص لما في كتابَي : البرهان للزركشي ، والإتقان للسيوطي . وبهذا تفقد هذه الكتب جانب التحقيق والتجديد ، بالأخص ما وضع منها على أنه مذكرات ، ثم طبع فيما بعد على أنه كتاب ، والفرق واضح بين من يكتب مذكرات للطلاب ، ومن يكتب لعامة طلبة العلم .

وهذا في غالب ما كتب ؛ إذ لا تخلو المكتبة القرآنية من نظرات تجديدية .

وإن من سبيل النهوض بهذا العلم : النهوض به من الجانب النظري ، والنهوض به من الجانب التحقيقي ، وإن من سبيله – فيما أرى – ما يلي :

أولا : تشتمل مباحث علوم القرآن على جانبين : جانب نظري بحت ، وجانب نظري تطبيقي .

فالأول : كعلم عدد الآي ، ومعرفة الصيفي والشتائي ، والمنامي ، والسفري والحضري من النزول .... ونحوها .

فهذه العلوم يمكن أن تدرس للطالب بجانبها النظري ، ومن رأى فيها جانبا تطبيقيا فليدرسها على الجانب التطبيقي .

والثاني : كقصص القرآن ، وأمثال القرآن ، وأقسام القرآن ... ونحوها .

فهذه العلوم ونحوها يمكن أن يجري عليها التطبيق بعد المعرفة النظرية لها .

وللتطبيق مجالان : القرآن الكريم ، والتفسير ، ولكل منهما ما يناسبه من الموضوعات.

والمراد بالتطبيق : أن يقوم الطالب باستخراج الأمثلة من القرآن أو التفسير ؛ كما يفعله طالب علم الحديث ، حينما يقوم بتخريج الأحاديث أو دراسة الأسانيد .

وعلى هذا ، فيمكن أن يُطلب من الطالب استخراج الأمثلة من القرآن لموضوع (أمثال القرآن) .

ويطلب منه في (المكي والمدني) دراسة أثر معرفة المكي والمدني من خلال التفسير .

بهذا ، سيكون عند دارس هذا العلم ميدان تطبيقي يخرِّج منه ما درسه في الجانب المعرفي النظري .

ثانيا : إن مما يعين في التحقيق ، ويثري البحث ، الرجوع إلى ما كتبه المتقدمون ممن نقل عنهم الزركشي والسيوطي ، لأنهما في الغالب يلخصان مسائل الكتاب ، وقد يكون فيما تركوا من مسائله علم يحتاج إليه في علوم القرآن .

ومما يعين – كذلك – جرد مصنفات الحديث وكتب الآثار لتحصيل ما فيها من الأحاديث والآثار في موضوعات (علوم القرآن) .

فلو فهرست الكتب الستة مثلا على موضوعات (علوم القرآن) ، تصور الكم الذي ستحصل عليه هذه الموضوعات من الأحاديث والآثار .

إن الفائدة التي ستجنى من هذه الفهرسة هي الاعتماد على هذه الأحاديث والآثار في استنباط المعلومات .

إن بعض المسائل تفتقد – في كثير من الأحيان – النصوص الدالة على المعلومات التي فيها ، فلو بحثت – على سبيل المثال – دليل من قال : إن عثمان جمع الناس على حرف واحد وألغى الستة الأخيرة ، أو دليل من قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي لتعليم العد ، ثم كان بعد ذلك يتتبع المعاني ولا يقف عندها . إنك إذا قرأت في هذا العلم ستجد مثل هذه الأقوال التي لا يعضدها دليل.

ولذا فإن جمع الأحاديث والآثار في الموضوع الواحد يجلي غوامضه ، ويبين فوائده. وانظر – على سبيل المثال – كتاب الأحرف السبعة ، للدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ .

وأخيرا – أيها الأخ الكريم – هذه بعض ملحوظات ، أضعها بين يديك لتكون مجال مناقشة وإفادة ، سدد الله خطاي وخطاك ، ووفقنا لما يحب ويرضى .

أصول التفسير

الأصل في اللغة : أسفل الشيء ، ويطلق الأصل على مبدأ الشيء ، وما يبنى عليه غيره، وعبرً عنه بعضهم بأنه: ما يفتقر إليه غيره ، ولا يفتقر هو إلى غيره ، وهذا مستوحى من المعنى اللغوي .

ويقرب من معنى الأصل : القاعدة ، وهي: الأساس الذى يبنى عليه البيت .

والتفسير في اللغة مأخوذ من مادة (فسر) ، وهي تدل على ظهور الشيء وبيانه . ومنه الكشف عن المعنى الغامض.

وللتفسير في الاصطلاح تعاريف ، ومن أوضحها :

بيان كلام الله المعجز المنزل على محمد ﷺ .

وأصول التفسير : هي الأسس والقواعد التي يعرف بها تفسيرُ كلام الله ، ويرجع إليها عند الاختلاف فيه .

وتدور محور الدراسة في هذا العلم بين أمرين : كيف فسر القرآن ، وكيف نفسر القرآن .

ففي الأولى يكون الرجوع إلى تفاسير السابقين ومعرفة مناهجهم وطرقهم فيها ، خاصة تفاسير السلف التي تُعدُّ العمدة في هذا العلم .

وفي الثانية يكون الاعتماد على ما قُعِّدَ من أصول في تفاسير السابقين ، لكي يعُتَمَد الصحيح في التفسير، ويتجنب الخطأ فيه .

ومما يجدر ذكره، أنه لا توجد دراسة متكاملة لموضوعات هذا العلم. والكتب التي كتبت في هذا العلم سارت على ثلاثة مناهج :

- فمنها ما هو في موضوعات علوم القرآن ؛ ككتاب (الفوز الكبير في أصول التفسير) ، للدهلوي .

– ومنها ما اعتمد مسائل أصول الفقه المتعلقة بالقرآن ، ودرسها من باب التفسير ؛ ككتاب (دراسات في أصول تفسير القرآن) للدكتور : محسن عبد الحميد .

ومنها كتب قعّدت مسائل من هذا العلم ؛ ككتاب (مقدمة في أصول التفسير) لشيخ الإسلام ابن تيمية .

وسأحاول أن أسير في هذا البحث على هذا المنهج ، وأرجو أن أستطيع تغطية شيءٍ من جوانبه ، وعرض جزءٍ من مسائله على هذا الجانب التقعيدي .

مراجع هذا العلم :

١ – كتب مصدرة بهذا الاسم، وهو : (أصول التفسير) .

وهذه الكتب لم تحوِ جميع مادة هذا العلم ، ولكن فيها مسائل متناثرة منه ، ومن أهم هذه المؤلفات :

أ – مقدمة في أصول التفسير ،لشيخ الإسلام ابن تيمية (تْ : ٧٢٨) .

وهذا العنوان وضعه مفتي الحنابلة بدمشق ، وطبع الكتاب سنة ١٣٥٥ هـ .

وقد نبَّه شيخ الإسلام في المقدمة على أن ما سيكتبه هو قواعد تعين على فهم القرآن وتفسيره وبيان معانيه (١) .

ب ـ الفوز الكبير في أصول التفسر للدهلوي (ت : ١١٧٦) .

جـ ـ أصول التفسير وقواعده لخالد العك .

د ـ بحوث في أصول التفسير، لمحمد لطفي الصباغ . وقد اعتمد مقدمات المفسرين وبعض الكتب ؛ككتاب شيخ الإسلام، وكتاب الدهلوي . وهو في كل هذا يذكر ملخصا لمسائل هذه المقدمات ، وهذه الكتب .

هـ ـ دراسات في أصول التفسير، لمحسن عبد الحميد .

و ـ أصول التفسير ومناهجه، للدكتور فهد الرومي (مذكرة كتبها لطلابه في قسم

---

(١) انظر : ص ٣٣

الدرسات القرآنية بكلية المعلمين بالرياض)

وقد ألف ابن القيم في هذا الباب، لكن لم توجد هذه الرسالة بعدُ[1].

٢ ـ مقدمات المفسرين التي يقدمون بها تفاسيرهم :

تجد في بعض التفاسير مقدماتٍ مهمةً تتعلق بهذا العلم، حيث يذكرون شيئا من مباحثه، ومن أمثلة ذلك :

- مقدمة ابن كثير ، وقد استفادها من شيخ الإسلام ابن تيمية .
- مقدمة النكت والعيون ، للماوردي .
- مقدمة ابن جزي الكلبي لتفسيره .
- مقدمة جامع التفاسير، للراغب الأصفهاني .
- مقدمة القاسمي لتفسيره .
- مقدمة التحرير والتنوير .

وغيرها من المقدمات التي تطول فصولها وتستوعب كثيرا من المباحث ، فإنها لا تخلومن مباحث في هذا العلم .

٣ـ كتب علوم القرآن :

يعتبر أصول التفسير جزءً من علوم القرآن – وإن كان بعضهم يجعله مصطلحا مرادفا ـ ولذا ؛ فإن الباحث في كتب علوم القرآن سيظفر بمجموعة من مسائل هذا العلم .

ومن هذه الكتب :

كتاب البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي (ت : ٧٩٤)، وكتاب الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ت : ٩١١) .

وغيرها من الكتب التي تشمل جملة من علوم القرآن .

---

(١) انظر : جلاء الأفهام ص١٥٩ .

٤ـ استقراء التفاسير :

الاستقراء أهم هذه المراجع ، وبه تظهر فوائد هذا العلم ، والرجوع إلى التفاسير واستنباط المعلومات منها يثري البحث ويزيده قوة ، ومن أهم الكتب التي يمكن استقراؤها في التفسير كتب المحققين الذين يعتمدون النقاش والترجيح بعد نقل الأقوال .

ومن هذه الكتب على سبيل المثال :

١ـ تفسير الإمام الطبري .

٢ ـ تفسير ابن عطية .

٣ ـ تفسير الشنقيطي .

٤ ـ تفسير الطاهر بن عاشور .

موضوعات هذا العلم :

ليس هناك تحديد دقيق لموضوعات هذا العلم ، وذلك لأن النظر إلى موضوع (أصول التفسير) يختلف من مؤلف إلى آخر ، وسأذكر لك بعض الموضوعات التي أرى أنها من أهم موضوعات هذا العلم ، وهي التي ستجدها في هذا البحث :

١ ـ حكم التفسير وأقسامه .

٢ ـ طرق التفسير .

٣ ـ التفسير بالرأي والمأثور .

٤ ـ الأصول التي يدور عليها التفسير .

٥ ـ طريقة السلف في التفسير .

٦ ـ أسباب الاختلاف في التفسير .

٧ ـ أنواع الاختلاف في التفسير .

٨ ـ الإجماع في التفسير .

٩ ـ توجيه أقوال السلف .

١٠ ـ توجيه القراءات .

١١ ـ أساليب التفسير .

١٢ ـ كليَّات القرآن .

١٣ – قواعد عامة في التفسير .

١٤ ـ القواعد الترجيحية في التفسير .

حكم التفسير وأقسامه :

حكم التفسير

أنزل الله كتابه ليتدبره الناس ، قال تعالى : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته**﴾ ، ونعى على من لم يتدبره، فقال : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ والتدبر يكون بعد تفسير ألفاظه وفهم معانيه ، ولذا فالمسلم مأمور بهذا الفهم والتفسير (١) .

وتعلم التفسير واجب على الأمة من حيث العموم ،فلا يجوز أن تخلو الأمة من عالم بالتفسير يعلم الأمة معاني كلام ربها .

أما الأفراد فعلى كلٍّ منهم واجبٌ منه ، وهو ما يقيمون به فرائضهم ، ويعرفون به ربهم.

ولابن عباس تقسيم للتفسير ، ويمكن من خلال هذا التقسيم معرفة ما يجب على أفراد الأمة (٢)كما سيأتي : -

أقسام التفسير

للتفسير أقسام عدة ، وكل قسم مبني على اعتبار ، ويكون هذا الاعتبار بالنظر إلى جهة من جهات التفسير .

ويمكن تقسيم هذه الاعتبارات إلى ما يلي :

١ - باعتبار معرفة الناس له . ٢ - باعتبار طريق الوصول إليه .

٣ - باعتبار أساليبه .

٤ - باعتبار اتجاهات المفسرين فيه .

هذه بعض الاعتبارات ، وهناك اعتبارات أخرى يمكن تقسيم التفسير عليها ، كاللفظ

---

(١) انظر تفسير الطبري ١/ ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) أفادني بهذا الأخ محمد عبد العزيز الخضيري .

والمعنى - وسيأتي - ، و الاعتبار الزماني ، والمكاني وغيرها .

أولا : باعتبار معرفة الناس له .

قسم حبر الأمة ابن عباس التفسير ، وجعله أربعة أوجه (١) :

١ – وجه تعرفه العرب من كلامها .

٢ – وتفسير لا يعذر أحد بجهله .

٣ – وتفسير يعلمه العلماء .

٤ – وتفسير لا يعلمه إلا الله ، ومن ادعى علمه فقد كذب .

تفصيل هذه الأوجه :

الوجه الأول : ما تعرفه العرب من كلامها : يشمل هذا القسم ألفاظ القرآن ، وأساليبه في الخطاب ، وذلك لأنه نزل بلغتهم وعلى طرائقهم في الكلام

وهذه الألفاظ والأساليب معلومةٌ لديهم غير خافية ، وإن كان قد يخفى على أفراد منهم شيء منها ، وذلك لغرابتها على مسمعه ، أولعدم اعتياده عليها في لغة قومه ، كما خفي على ابن عباس بعض معاني مفرادته ؛كلفظ فاطر، وغيرها .

ولذا تجد في تفاسير السلف تفسيرهم اللغوي لمعنى الصمد ، والكفؤ ، والفلق ، والغاسق .... الخ .

والأساليب لما كانت على سَنَنِهم في الكلام (٢) لم يَخْفَ عليهم المراد بها ، فيعلمون من قوله تعالى : ﴿ **ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾ أن هذا الخطاب خطاب امتهان وتهكم ، وإن كانت ألفاظه مما يستعمل في المدح ، وذلك لأن السياق يدل على معنى الامتهان .

وهذا الوجه من فروض الكفاية ، إذ لا يجب على كل مسلم معرفة جميع المعاني اللغوية والأساليب الكلامية الواردة في القرآن .

---

(١) تفسير الطبري ١/ ٣٤ ، وانظر ما قبله من كلام الطبري ، وإيضاح الوقف والابتداء ١/ ١٠١ .

(٢) راجع في ذلك تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس .

وقد يرتقي إلى الواجب إذا توقف عمل الواجب على هذه المعرفة .

الوجه الثاني : ما لا يعذر أحد بجهله :

وهذا يشمل الأمر بالفرائض ، والنهي عن المحارم ، وأصول الأخلاق والعقائد .

فقوله تعالى : ﴿ **أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ وقوله ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** ﴾ وقوله: ﴿ **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** ﴾ لا يعذر أحد بجهل مثل هذه الخطابات وهو يقرأ القرآن .

وكذا يدخل فيه ما جاء من أمر بالصدق والأمانة والنهي عن الكذب والخيانة ، وعن إتيان الفواحش ،وغير هذه من الأوامر والنواهي المتعلقة بالأخلاق .

ويدخل فيه ما يتعلق بالعقائد ؛ كقوله تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله »، وقوله :« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »، وغيرها من الأوامر والنواهي المتعلقة بالتوحيد . هذه كلها داخلة ضمن الواجب الذي يجب على المسلم تعلمه من التفسير .

الوجه الثالث : ما تعلمه العلماء .

ومما يشمله هذا القسم ، ما تشابه منه على عامة الناس ، وما يستنبط منه من فوائد وأحكام .

وهذا القسم من فروض الكفاية .

الوجه الرابع : ما لا يعلمه إلا الله ، ومن ادعى علمه فقد كذب :

ويشمل هذا حقائق المغيبات ، ووقت وقوعها .

فالدابة التي تخرج في آخر الزمان لا يعلم كيفها وكنهها إلا الله ، ولا يعلم وقت خروجها إلا الله . وهكذا سائر الغيبيات .

وهذا النوع غير واجب على أحد ، بل من تجشم تفسيره فقد أثِمَ وافترى على الله ،

وادعى علما لا يعلمه إلا الله سبحانه .

ثانيا : باعتبار طريق الوصول إليه :

ينقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين :

الأول : ما يكون طريق الوصول إليه عن طريق الأثر ، وهو التفسير بالمأثور[١] .

الثاني : ما يكون طريق الوصول إليه عن طريق الاجتهاد ، وهو التفسير بالرأي[٢] :

ثالثا : باعتبار أساليبه :

ينقسم بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام :

١ – التفسير التحليلي .

٢ – التفسير الاجمالي .

٣ – التفسير المقارن .

٤ – التفسير الموضوعي

وإليك تفصيلا موجزا عن هذه الأقسام :

أولا : التفسر التحليلي :

هذا القسم هو الغالب على التفاسير ، ويعمد المفسر بهذا الأسلوب إلى التحليل في الآية فيبين سبب نزولها ، وبيان غريبها ، وإعراب مشكلها ، وبيان مجملها ... الخ . ومن أمثلته : تفسير ابن عطية والآلوسي والشوكاني وغيرهم .

ثانيا : التفسير الإجمالي :

يعمد المفسر بهذا الأسلوب إلى بيان المعني العام للآية دون التعرض للتفاصيل ؛ كالاعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها .

ومن أمثلته : تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، وتفسير المكي الناصري، وتجده

(١ ، ٢) سيأتي تفصيل لهذين المصطلحين فيما بعد ، انظر ص (٤٦ ، ٥٢)

كذلك في تفسير المراغي وأبي بكر الجزائري تحت عنوان « المعنى الإجمالي »

ثالثا التفسير المقارن :

يعمد المفسر بهذا الأسلوب إلى نصين أو قولين ويقارن بينهما ، وقد يقارن بين آية وآية، أو آية وحديث ،وقد يقارن بين قول في آية وقول آخر ويرجح بينهما (١) . ومن أمثلته : تفسير ابن جرير الطبري ، وغيره ممن يذكر أقوال المفسرين ويرجح بعضها على بعض .

ومنه ما يقوم به ـ الآن ـ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري من عرضه في الإذاعة لتفسيره المسمى (تفسير التفاسير)

رابعا : التفسير الموضوعي

يعتمد هذا الأسلوب على دراسة لفظة،أو جملة، أو موضوع في القرآن ، وهو أقسام :

١ـ أن يكون عرض الموضوع من خلال القرآن كله ؛ كموضوع (صفات عباد الرحمن في القرآن) .

٢ – أن يكون عرض الموضوع من خلال سورة ؛ كموضوع (الأخلاق الاجتماعية في سورة الحجرات)

٣ – أن يستعرض المفسر لفظة أو جملة قرآنية ، ويبين معانيها في القرآن ؛ كلفظة (الأمة في القرآن) ، وجملة (الذين في قلوبهم مرض في القرآن) (٢)

رابعا : باعتبار اتجاهات المفسرين فيه :

المراد بالاتجاه : الوجهة التي قصدها المفسر في تفسيره وغلبت عليه ،أو كانت بارزة في تفسيره ، بحيث تميز بها عن غيره .

---

(١) هذه التقسيمات المذكورة من تحليلي وإجمالي ومقارن تقسيمات فنيه ، ولايعني هذا أن كل تفسير قد تميز بأحدها فقط ، بل قد تجد في تفسير من التفاسير هذه الأقسام ، ولكن الحكم للأغلب ؛ فابن جرير تجد في تفسيره : التحليل والإجمال والمقارنة .

(٢) انظر في موضوع أساليب التفسير: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني د. أحمد جمال العمري ص ٣٧ – ٤٦ ، أصول التفسير ومناهجه للدكتور فهد الرومي ـ مذكرة على الآلة الراقمة ـ ٤٩ ـ ٦٠ .

والاتجاهات في التفسير لها اعتبارات ، فمنها ما يكون بالنظر إلى المذهب العقدي للمفسر ، فمثلا :

الاتجاه السلفي ، يمثله : تفسير ابن جرير وابن كثير والشنقيطي .

والاتجاه المعتزلي ، يمثلة : تفسير الزمخشري .

والاتجاه الأشعري يمثله : تفسير الرازي.

إلى غير هذه الاتجاهات العقدية .

ومنها ما يكون بالنظر إلى العلم الذي غلب على التفسير ، ومن أمثلته :

- كتاب (معاني القرآن) للفراء ، (ومجاز القرآن) لأبي عبيدة ، وتمثل الاتجاه اللغوي .
- كتاب (إعراب القرآن) للنحاس ، (والبحر المحيط) لأبي حيان ، و (الدر المصون) للسمين الحلبي ، وتمثل الاتجاه النحوي .
- كتاب (الكشاف) للزمخشري ، و(التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور ، وتمثل الاتجاه البلاغي .

وهكذا مما تجده مدونا في كتب علوم القرآن ، أو ما كتب في موضوع اتجاهات المفسرين (١)

(١) انظر : التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر د . فهد الرومي ، وغيرها مما كتب في هذا الموضوع .

طرق التفسير

للتفسير ستة طرق ، والذي يذكر منها غالبا أربعة ، وإليك بيان هذه الطرق، ثم شرحها بايجاز :-

١ - تفسير القرآن بالقرآن .

٢ - تفسير القرآن بالسنة .

٣ - تفسير القرآن بأقوال الصحابة .

٤ - تفسير القرآن بأقوال التابعين .

٥ - تفسير القرآن باللغة .

٦ - تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد

أولا : تفسير القرآن بالقرآن :

تفسير القرآن بالقرآن أبلغ التفاسير ، وذلك لأن كل أحد أعلم بمراده من غيره . ولا يلزم من ذلك أن كل من قال: إن هذه الآية تفسير لهذه الآية صحةُ ذلك وقبوله ، لأن هذا تفسير مبني على اجتهاد المفسر ورأيه ، وقد لا يكون صحيحا (١) .

وقد فسر الرسول ﷺ القرآنَ بالقرآن ؛ كما في حديث ابن مسعود لما نزلت آية « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » فسرها الرسول ﷺ بقوله تعالى : « إن الشرك لظلم عظيم ».

وقد اهتم بهذا الطريق من السلف المفسر عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقد ظهر هذا واضحا من خلال المرويات عنه في تفسير الطبري.

وقد كان لابن كثير عناية بهذا الطريق في تفسيره .

وممن ألف في هذا الطريق الأمير الصنعاني (محمد بن إسماعيل) (ت ١١٨١)

---

(١) انظر : ص (٥٢) من هذا البحث .

وعنوان كتابه :(مفاتيح [مفتاح] الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن) [1]

وأفضل مؤلَّف موجود الآن في هذا النوع كتاب الإمام الشنقيطي (١٣٩٣ هـ) الذي أسماه (أضـواء البيان في إيضاح القرآن بالقـرآن) ، وقد قدم له بمقدمة مهـمة في أنواع بيان القرآن للقرآن ، وتوسع فيها كثيرا .

* أنواع تفسير القرآن بالقرآن :

ينطوي تحت تفسير القرآن بالقرآن أنواع عدة ، وقد سـبق أن أشـرت إلى أنَّ في كتاب (أضواء البيان) بيانًا لكثير من تفسير القرآن بالقرآن، ومن هذه الأنواع على سبيل المثال :

١ ـ بيان المجمل .

٢ ـ تقييد المطلق .

٣ ـ تخصيص العام .

٤ ـ تفسير المفهوم من آية بآية أخرى .

٥ ـ تفسير لفظة بلفظة .

٦ ـ تفسير معنى بمعنى

٧ ـ تفسير أسلوب في آية بأسلوب في آية أخرى .

وستجد غيرها من الأنواع التي ذكرها الإمام الشنقيطي في مقدمة كتابه .

ولو استقريت كتب التفسير التي تعتني بتفسير القرآن بالقرآن لظهرت أنواع أخرى في هذا الطريق .

أمثلة للأنواع السابقة :

١ ـ بيان المجمل :

المجمل ما احتاج إلى بيانٍ ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ **أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى**

---

(١) هذا الكتاب مخطوط في الجامع الكبير بصنعاء .

عليكم ﴾ فقوله تعالى : ﴿ **إلا ما يتلى عليكم** ﴾ مجمل في هذا السياق لم يبيَّن ، وبيَّنه الله سبحانه بقوله : ﴿**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وما ذبح على النصب** ﴾ (١) .

٢ـ تقييد المطلق :

المطلق : هو المتناول لواحد لا بعينه ، وله تقسيمات في أصول الفقه ، والمراد هنا بيان المثال ، ومن أمثلته : قوله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ...** ﴾ الآية .

قال بعض العلماء : يعني إذا أخروا التوبة إلى حضور الموت ، فتابوا حينئذ .

وهذا التفسير يشهد له قوله تعالى : ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار** ﴾ فالإطلاق الذي في الآية الأولى ذكر مقيِّدُه في الآية الثانية (٢) .

٣ ـ تخصيص العام :

العام : هو الكلام المستغرق لما يصلح له بحسب الواقع دفعة بلا حصر (٣) ، وصيغه وألفاظه كثيرة ، وقد ذكر كثير من العلماء أن ألفاظ القرآن على عمومها حتى يأتي ما يخصصها .

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** ﴾ فهذا حكم عام في جميع المطلقات ، ثم أتى ما يخصص من هذا العام الحوامل، وهو قوله تعالى :﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ فخص من عموم المطلقات أولات الأحمال .

---

(١) انظر : أضواء البيان ٢٣/ .

(٢) انظر: أضواء البيان ١/ ٣٤٣ ، وارجع إلى تفسير قوله تعالى : « والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض » الشورى آية ٥ .

(٣) انظر: مذكرة أصول الفقه ص ٢٠٣ .

٤ ـ تفسير المفهوم من آية بآية أخرى :

المفهوم : هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق ، ومن أمثلة تفسير مفهوم من آية بآية أخرى قوله تعالى : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ فقد ورد عن السلف في تفسير هذه الآية أنها تدل على رؤية الله سبحانه ، ومن ذلك قول الشافعي : « فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربه يوم القيامة» (١) ، وهذا المفهوم من الآية يدل عليه قوله تعالى : ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ ، وغيرها من أدلة الرؤية .

٥ ـ تفسير لفظة بلفظة :

أ ـ بيان غريب الألفاظ : وذلك أن يرد في سياق لفظٌ غريب ثم يُذْكَر في موضع آخر معنى أشهر من ذلك اللفظ ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ **وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل** ﴾

وفي موضع آخر قال : ﴿ **لنرسل عليهم حجارة من طين** ﴾ ، والآيتان وردتا في شأن قوم لوط (٢) .

ب ـ بيان المراد باللفظة في السياق : مثل قوله تعالى : ﴿ **أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما** ﴾ ، فُسرت بقوله : ﴿ **والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع** ﴾، (٣) وقوله : ﴿ **فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا** ﴾.(٤) .

٦ ـ تفسير معنى بمعنى :

مثل تفسير قوله تعالى : ﴿ **يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض** » **بقوله تعالى** : ﴿ **ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا** ﴾ .

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣ /٤٦٨ .

(٢) انظر: أضواء البيان ١ /٩٠

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٩/١٧ .

(٤) انظر: أضواء البيان ٤/٥٦٤ ، وانظر : تفسير الطبري ١/٦٨ .

٧ ـ تفسير أسلوب قرآني في آية بآية أخرى :

مثل قوله تعالى : ﴿ **ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة** ﴾، أي: دخولنا ذلك حطة . فهو مثل قوله تعالى : ﴿ **وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكم أو معذبهم عذابا شديدا . قالوا معذرة إلى ربكم** ﴾ أي : موعظتنا إياهم معذرة إلى ربكم ، فالاسلوب في الآيتين متشابهان في قوله « حطة » و « معذرة » [١] .

ومثله توضيح الالتفات في قوله: ﴿ **مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ بقوله تعالى: ﴿ **حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة** ﴾ فالالتفات في قوله: (إياك نعبد) كالالتفات في قوله : (وجرين بهم) [٢] .

وقال أبو الليث : وقوله تعال ﴿ **كُلوا من طيبات** ﴾ يعني: قيل لهم: (**كلوا من طيبات**) ، وهذا من المضمرات، وفي كلام العرب يضمر الشيء اذا كان فيه دليل يستغني عن إظهاره . كما قال في آية أخرى : ﴿ **فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم** ﴾ يعني : (يقال لهم : أكفرتم) .

وكما قال في آيَة أخرى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله** ﴾ يعني: (قالوا : ما نعبدهم) ، ومثله في القرآن كثير [٣] .

---

(١) انظر تفسير الطبري ١/٣٠١ .

(٢) انظر تفسير الطبري ١/٦٧ .

(٣) تفسير القرآن للسمرقندي ١ / ٣٥٩ .

ثانيا : تفسير القرآن بالسنة النبوية :

قال تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ بين الله في هذه الآية مهمة الرسول ﷺ وهي بيان القرآن، ولما كانت هذه المهمة موكلة بالرسول ﷺ لَزِمنا أن نرجع إلى تفسيره لهذا القرآن، ومن المقومات التي تجعلنا نرجع إلى تفسيره ﷺ أن السنة وحي من الله لقوله تعالى:﴿ **إن هو إلا وحي يوحى**﴾ ولذا فهي بمنزلة القرآن في الاستدلال، وهي أصل في فهم القرآن ؛ لقوله تعالى : ﴿ **لتبين للناس** ﴾ ، وهذا يعني أنه لا يمكن الاستغناء عن البيان النبوي ؛ لأنه لا أحد من خلق الله أعلم بمراد الله من رسوله ﷺ .

الأنواع المستنبطة في تفسير الرسول ﷺ للقرآن :

يمكن استنباط أنواع التفسير النبوي للقرآن بعد استعراض الأحاديث النبوية ، وقد ظهر لي من خلال ذلك ما يلي :

١ ـ أن ينص على تفسير آية أولفظة ، وله أسلوبان :

أ ـ أن يذكر التفسير ، ثم يذكر الآية المفسَّرة .

ب ـ أن يذكر الآية المفسَّرة، ثم يذكر تفسيرها .

٢ – أن يشكل على الصحابة فهم آية فيفسرها لهم .

٣ ـ أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيرا للآية .

٤ ـ أن يتأول القرآن، فيعمل بما فيه من أمر ، ويترك ما فيه من نهي .

وإليك أمثلة هذه الأنواع :

١ ـ أن ينص على تفسير آية أو لفظة ، وله أسلوبان :

الأول : أن يذكر التفسير، ثم يذكر الآية المفسَّرة .

مثاله: قوله تعالى: ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** ﴾ (١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا أحب الله عبدا نادى:

---

(١) (الآية ٩٦ سورة مريم) .

ياجبريل إني أحببت فلانا فأحبه، قال: فينادى في السمـاء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فـذلك قولـه تعالى: ﴿ **إن الذين آمنوا وعـملوا الصالحات سيجعل لـهم الرحمن ودا** ﴾. وإذا أبغض الله عـبـدا نادى: ياجبـريل : إني أبغـضت فلانـا فينادى في السـمـاء، ثم تنزل له البغضاء في الأرض) (١) .

الثاني : أن يذكر الآية الكريمة المفسَّرة ، ثم يذكر تفسيرها :

مثاله : قوله تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** ﴾ (٢) .

عن أبي علـي ثمامـة بن شفـي أنه سمع عقبة بن عـامر رضي الله عنـه يقول : سمـعت رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم وهو على المنبر يقول :﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ ألا إن القوة الرمي . ألا إن القوة الرمي. ألا إن القوة الرمي) (٣) .

٢ ـ أن يشكل على الصحابة فهم آية فيفسرها لهم :

عن عـبـد الله بن مـسـعود رضـي الله عنه قـال : لما نزلت ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسـوا إيمانهم بظلم ..** ﴾ الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا : يارسول الله أينا لم يظلم نفسه ؟ قال ليس ذلك . إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿ **يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ . (٤)

٣ ـ أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيرا للآية :

مثاله : قوله تعالى :﴿ **وجيء يومئذ بجهنم** ﴾ (٥) .

عن عبد الـله بن مسعود قال: قـال رسول الله ﷺ : (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبـعون ألف زمام ، لكل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » (٦) .

---

(١) رواه الترمذي ٥ / ٣١٨ .

(٢) (الآية ٦٠ من سورة الأنفال) .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخاري .

(٥) الآية (٢٣) الفجر .

(٦) رواه الترمذي ٤ / ٧٠١ .

٤ ـ أن يتأول القرآن فيعمل بما به من أمر :

مثاله : قوله تعالى :﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره** ﴾(١) .

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ الا يقول فيها : سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي) وفي رواية عند البخاري عن عائشة (أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك . اللهم اغفر لي . يتأول القرآن) (٢) .

---

(١) (الاية ٣) . سورة النصر

(٢) رواه البخاري

ثالثا : تفسير القرآن بأقوال الصحابة :

للصحبة منزلتها العظمى في الإسلام ، ولها شرف لا يخفى على مسلم . إذ يكفي فيها أنها تعني لقيا رسول الله ﷺ ، ولذا كان للصحبة مكانة خاصة في ميزان المسلمين بعدهم، بل صارت أقوالهم حجة عند بعض العلماء لا يعدل عن أقوالهم، ولا يرى قولا غير قولهم .

وقد ذكر العلماء أسباباً لرجوع المفسر إلى أقوالهم، وهي :

١ ـ أنهم شهدوا التنزيل وعرفوا أحواله .

٢ ـ أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن .

٣ ـ أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن من العرب واليهود .

٤ ـ سلامة مقصدهم .

٥ ـ حسن فهمهم .

مصادرهم في التفسير .

كان الصحابة يرجعون في تفسيرهم للقرآن إلى مصادر يستفيدون منها حال تفسيرهم للقرآن ، ومنها :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ السنة النبوية.

٣ ـ اللغة العربية .

٤ ـ أهل الكتاب .

٥ ـ الفهم والاجتهاد .

وكانوا في كل هذه المصادر أدق من غيرهم في الاستفادة وأسلم ..

١ـ القرآن الكريم :

سبق أن ذكرت في المبحث السابق أن رسول الله ﷺ فسر القرآن بالقرآن ، وقد سلك

الصحابة هذا المنهج ففسروا به ، وكان ذلك منهم اجتهادا ، ومن أمثلة ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ **والسقف المرفوع** ﴾ قال خالد بن عرعر سمعت عليا يقول : السقف المرفوع : هو السماء ، وقال : ﴿ **وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون** ﴾ (١) .

وفسر عمر رضي الله عنه قوله تعالى : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ فقال : هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة، وقال : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ قال : ضرباءهم » (٢) .

٢ ـ السنة النبوية :

أفاد الصحابة من السنة النبوية في تفسيرهم القرآن ، وهم في بعض الأحيان يروون ما وصلهم أو سمعوه من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، وفي أحيان أخرى يذكرونه دون إسناد إلى الرسول ﷺ ، وهذا يدل على اعتمادهم السنة النبوية وإن لم ينصوا على رفعه .

ومن أمثلة ذلك تفسير ابن عباس لقوله تعالى : ﴿ **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** ﴾ قال فيه : « فوضع قدمه فقالت حين وضع قدمه فيها : قدِ قدِ ... الخ » (٣) ، فابن عباس فسر هذه الآية بما جاء عن النبي ﷺ ، وإن لم يسنده مباشرة إليه (٤) ، وهذا يأتي غالبا فيما لا مجال للعقل فيه .

٣ ـ اللغة العربية :

نزل القرآن بلغة العرب ، وهي لغة الصحابة رضي الله عنهم ، ولذا فهم قد فهموا الخطاب الإلهي لأنه نزل بلغتهم ، وقد فسروا القرآن بلغتهم ، وشواهد ذلك أكثر من أن تحصر . ومن ذلك تفسير ابن عباس لقوله تعالى : ﴿ **وأذنت لربها وحقت** ﴾

قال : سمعت لربها (٥) .

---

(١) تفسير الطبري ١٨/٢٧ .

(٢) تفسير الطبري ٦٩/٣٠ .

(٣) تفسير الطبري ١٦٩/٢٦ .

(٤) انظر فتح البارى ٤٦٠/٨ .

(٥) تفسير الطبري ١١٣/٣٠ .

٤ ـ أهل الكتاب :

رجع الصحابة إلى مرويات أهل الكتاب ، ورووها في التفسير ، ولا يلزم من ذكرهم لهذه المرويات قبولهم لها .

ومن أمثلة ذلك سؤال ابن عباس لأبي الجلد *، فقد روى الطبري بسنده عن الحسن ابن الفرات عن أبيه قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجلد يسأله عن الرعد ، فقال : الرعد : الريح(١) .

وروى الطبري عن عثمان بن حاضر قال : سمعت عبد الله بن عباس يقول : قرأ معاوية هذه الآية فقال : « **عين حامية** » فقال ابن عباس : إنها « **عين حمئة** » ، قال : فجعلا كعبا بينهما ، قال : فأرسلا إلى كعب الأحبار ، فسألاه ، فقال كعب : أما الشمس فإنها تغيب في ثأط ، فكانت على ما قال ابن عباس » والثأط : الطين (٢) .

٥ ـ الفهم والاجتهاد :

أعمل الصحابة رضي الله عنهم عقولهم في فهم القرآن ، واستنبطوا منه ، وكانوا فيه على تفاوت ، فمنهم المكثر ، ومنهم دون ذلك ، وكان اجتهادهم مبنيا على علم ، ولم يكونوا يقولون في القرآن بآرائهم بغير علم ، ولذا حلوا ما استشكل على غيرهم فهمه ، وأوضحوا لهم هذا المشكل ، ومن أمثلة ذلك ما رواه الإمام البخاري من الأسئلة المشكلة التي طرحت على ابن عباس ، ومنها:

قوله تعالى : ﴿ **أم السماء بناها** ـ إلى قوله ـ **دحاها** ﴾ فذكر خلق السماء قبل الأرض ، وفي قوله : ﴿ **أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ثم استوى إلى السماء** ـ إلى قوله ـ **طائعين** ﴾ فذكر خلق الأرض قبل السماء في هذه الآية .

---

(١) تفسير الطبري ١/١٥١ .

(٢) تفسير الطبري ١٦ / ١١ وانظرفيها رجوع ابن عباس وعمرو بن العاص إلى كعب في معنى (حمئه وحاميه) .

* أبو الجلد : هو جيلان بن أبي فروة ، صاحب كتب التوراة ، ونحوها ، وثّقه أحمد وابن سعد ، ولابن عباس أسئلة وجهها إليه غير هذه ، رواها الطبري في مواضع من تفسيره .

فأجاب ابن عباس عن ذلك فقال : « خلق الأرض في يومين ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض ، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينه في يومين آخرين ، فذلك قوله « دحاها » وقوله « خلق الأرض في يومين » فجعل الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السماء في يومين » (١) .

حكم تفسير الصحابي :

ذكر بعض العلماء أن قول الصحابي في التفسير له حكم المرفوع ، ولكن هذا القول لا يقبل على هذا الإطلاق ، والصواب أن تفسير الصحابي له أقسام ، وكل قسم له حكم خاص ، وهذه الأقسام هي :

١ - ما له حكم الرفع ، وهذا يشمل أسباب النزول (٢) ، والإخبار عن المغيبات (٣) وحكم هذا القبول إذا صح الخبر فيه ، وسبب ذلك أن هذا مما لا مجال للاجتهاد فيه ، ويلحق بهذا ما أجمع عليه الصحابة، لأن الإجماع حجة ، فيكون بقوة المرفوع .

وقد وضع بعض العلماء قيدا في الغيبيات ، وهو: أن لا يكون المفسر مشهورا بالأخذ عن بني إسرائيل ، إذا كان في القول المذكور شبهة الخبر الإسرائيلي (٤) .

ومن أمثلة أسباب النزول ما رواه الحاكم عن جابر قال : كانت اليهود تقول : من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول ، فأنزل الله عز وجل:﴿ **نساوكم حرث لكم** ﴾.

قال الحاكم هذا الحديث وأشباهه مسند عن آخرها وليست بموقوفة ؛ فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنه نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند » (٥) .

---

(١) انظر: فتح الباري ٤١٨/٨ .

(٢) انظر : معرفة علوم الحديث ٢٠ ، وانظر : الاتقان ١٨١/٤ ، والنكت على ابن الصلاح ٥٣٠/٢ .

(٣) انظر : النكت على ابن الصلاح ٢/ ٥٣٠ ـ ٥٣١ .

(٤) انظر: النكت على ابن الصلاح ٥٣٢/٢ – ٥٣٣ .

(٥) معرفة علوم الحديث ٢٠ .

٢ ـ منه ما رجعوا فيه إلى لغتهم ، وحكم هذا القبول كذلك ، لأنهم هم أهل اللسان الذي نزل به القرآن وهم أعلم بلغتهم من غيرهم (١) .

٣ ـ منه ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب ، وهذا له حكم الإسرائيليات .

٤ ـ منه ما اجتهدوا فيه، وهذا فيه تفصيل :

أ – أن يتوافق اجتهادهم ؛ فيكون حجة (٢) .

ب – أن يختلف اجتهادهم ؛ فيرجح بين أقوالهم بأحد المرجحات، على ما سيأتي في قواعد الترجيح .

جـ – أن لا يرد إلا عن أحدهم، ولا يعلم له مخالف ؛ فهذا الأخذ به أولى ، خاصة إذا حفَّت به قرائن القبول ؛ كأن يكون قولَ مشهورٍ منهم بالتفسير؛ كعلي ، و ابن مسعود ، وابن عباس ، أو قَبِله من جاء بعدهم وأخذ به ، أو غيرها من القرائن .

---

(١) انظر : الموافقات ٣/٢١٨ .

(٢) انظر مقدمتان في علوم القرآن – مقدمة كتاب المباني – ص ١٩٥ ، والموافقات ٣/٢١٨ .